بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فما من نبيٍّ إلاَّ وبُعث بلسان قومه ليُبيّن لهم، وقد أُمرنا أن نُخاطب الناس على قدر عقولهم، فما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلاَّ كان لبعضهم فتنة، ومن المعلوم أن خطاب الكبير يفترق عن خطاب الصغير، والعالِم يفترق عن الجاهل..

والأسلوب المستخدم في الخطبة يختلف عن أسلوب البحث والتأليف، وكل ذلك يتم دون تغيير أو تبديل ﴿ **قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ** ﴾ [يونس: ١٥]، فما يسع أحداً مصادمة نصوص الشريعة لا في بداية الطريق ولا في نهايته، ولا في الوسيلة والغاية.

وقد يلجأ الإنسان إلى الإجمال تارة وإلى التفصيل تارة

أخرى، ولكل مقام مقال، فأحيانًا تجد العالم يفسر ويوضح مفردات الكلمات ويكتفي بذلك، وأحيانًا أخرى يعقد بحثًا في تفسير الآية كما صنع القرطبي في تفسير آيات الأحكام، فإذا مرّ بآية فيها ذكر البيع أو الربا أو الطلاق.. تكلّم على تفاصيل البيوع والطلاق والربا، مما نجده في كتب الفقه، وكما صنع القاسمي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فقد عقد بحثًا في نحو مئة صفحة في تفسير الآية يتعلق بموضوع الإيمان والكفر، وذلك في كتابه «محاسن التأويل».

والناس يحتاجون لهذا وذاك، وما لا يتناسب مع هذه الفئة قد يتناسب مع الفئة الأخرى، والمهم إبلاغ الحق للخلق، واستفراغ الوسع في العلم النافع والعمل الصالح وتعبيد الدنيا بدين الله، وتضافر الجهود على ذلك، فمن الناس من يصلح للتدريس للمرحلة الابتدائية، ومنهم من يصلح خطابه لطلاب الجامعة، وكلاهما يُسدي نفعًا وخدمة ويسُد ثغرة، وقد لا يستطيع الأول القيام بدور

الثاني، والثاني لا يُحسن في موضع الأول، وحسْب الجميع أن يُخلص عمله لله، و أن يحرص على إتقان مهمته ودوره، ولا يُبالي إن وضعوه في المقدمة أو في المؤخرة، فالسهم الواحد ثلاثة يدخلون به الجنة، والدال على خير كفاعله.

وكل مسلم ينبغي عليه أن يكون له دور في النهوض بواجب الدعوة، سواء بماله أو دعائه، بشعره أو نثره، بخطبته أو درسه، بتعاهده الصغار أو الكبار، بسلوكه وقوله، وينهج في ذلك كله منهج الأنبياء والمرسلين، ويستخدم لذلك الأساليب المباحة والمشروعة كالشريط والكُتيب، والدلالة على الدرس النافع المفيد..

ودور المسلم لا ينبغي أن يقل عن دور الهدهد الذي أتى نبيَّ الله سليمان عليه السلام يقول له: ﴿ **أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ** ﴿٢٢﴾ ﴾ [النمل: ٢٢]، فهو في طيرانه بحثًا عن الماء لا ينسى دعوته، وكذلك أنت لا تنسَ وظيفتك الحقيقية في إبلاغ دين الله، حتى وإن كنت طبيبًا أو مهندسًا أو عاملاً أو طالبًا.

ولعل الله أن يبارك في دعوتك حتى وإن كنت مغموراً، كما بورك في دعوة صاحب يس، وأصحاب الكهف، ومؤمن آل فرعون، وعبد الله الغلام، ولا تحقرن من المعروف شيئًا، ورُبَ مُبلّغ أوعى من سامع، ورُبَّ حامل فقه ليس بفقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ولأن يهدي اللهُ بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النعم.

ولا يليق بك مع علو همتك أن تبذل لدعوتك فتات وقتك، فالليل والنهار يصلح مجالاً للدعوة، وأقل القليل يُحدث أثراً بفضل الله، ونحن لا نحرث في البحر، ولا نُؤذن في مالطة أو في خرابة؛ فالاستجابة تفوق الخيال، وإقبال الناس على طاعة ربهم يحفز النفوس الهامدة على بذل الوسع.

وقد رأيت أن أصنع ما صنعه بشر الحافي في تبسيط الوعظ القديم عندما قال: إن في هذه الدار نملة تجمع الحب في الصيف لتأكله في الشتاء، فبينما هي في يوم من الأيام، إذْ أخذت بفمها حبة وجاءها عصفور، فأخذها هي والحبة، فلا ما جمعت أكلت ولا ما أمّلت نالت.

وهذا مثال للموت الذي يأتي بغتة، وقد أُمرنا بالإكثار من ذكره، وإذا كان البعض يصف شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه رجل خاصة، وابن القيم بأنه رجل عامة، فأين دورك أنت وخصوصًا ودعوتك دعوة عالمية، لا تقتصر على الملتحين والمنقبات، ولا على حيز المسجد ولا على الخطبة والدرس، ونحن نريد العودة بالنفس وبالأمة من حولنا لمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، فكان لابد من الارتفاع لمستوى هذه الدعوة المباركة واغتنام كل الفرص وتوجيه الدعوة لكل الفئات والطبقات.

وقد طرحتُ ما يُقارب المئة عنوان، تصلح للخطبة والدرس والوعظ والتذكير، وكان الغرض في البداية نزولها كمطويات مختصرة لا كأبحاث مطوّلة، وقد لاقت رواجًا وقبولاً بفضل الله، ولكن ظهرت الصعوبة - مع هذا العدد الكبير - في الطبع والتوزيع والنشر؛ ولذلك رأينا وضع هذه العناوين في مجلدات صغار عساها تؤدي نفس الفائدة والغرض.

والله نسأل أن ينفعنا وإياكم بها ﴿ **يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ**

﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء : ٨٨]وما كان فيها من صحة وصواب فمن الله، وما كان فيها من خطأ وقصور فمن نفسي ومن الشيطان، والله منه بريء، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين